شرح النصيحة الولدية

لـ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي

شرحها فضيلة الشّيخ:

صالح بن سعد السّحيمي

— حفظه الله ونفع بعلمه —

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

قبل أن نبدأ درسنا أنبّه على أمر في درس الأمس[1]، أظن أنه حصل سبقة لسان فقلت الذين ذكروا من الملائكة في القرآن أربعة وهم ثلاثة، الذين ذُكروا ثلاثة وهم: "جبريل" و"ميكائيل" و"مالك" خازن النّار، وقد ذكرنا أدلّة ذلك البارحة، أمّا "إسرافيل" – عليهم جميعا السّلام –، وذكرنا لكم بالأمس "منكر" و"نكير" ثبتا في السنّة.

كذلك "إسرافيل" ورد ذكره في السنّة، فيما رواه الإمام "مسلم" أو رواه الجماعة إلاّ "البخاري" بالأحرى، وهو حديث افتتاح قيام صلاة اللّيل حيث جاء فيه ، عن عائشة –رضي الله عنها – أنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – كان يفتتح قيام اللّيل بقوله: ((اللهمَّ رَبَّ جبرَائِيلَ وإسرَافِيلَ ومِيكَائِيل، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ أَنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَختَلِفُون، اهدِنِي لِمَا اختُلِفَ فِيه مِنَ الحقِّ بِإذنِك إنَّكَ تَهدِي مَن تَشَاءُ إلَى صِراطٍ مُستَقِيم)) فـ "إسرافيل" جاء ذكره في هذا الحديث، ولكن لم يثبُت أنّه هو الذي ينفخ في الصّور، والأحاديث الواردة في كونه هو الذي ينفخ في الصّور فيها مقال، بل كلّ ما قيل في النّفخ في الصّور ((كَيفَ وَقَد التَقَمَ صَاحِبُ القَرنِ قَرنهُ)) ولم يرد في حديث صحيح أنّه "إسرافيل"، إنّما "إسرافيل" ورد ذكره في هذا الحديث في دعاء قيام اللّيل الذي سمعتموه وقد رواه الجماعة إلاّ "البخاري".

وأمّا ما يتردّد على ألسنة العوام من ذكر "عزارئيل" وأنّه ملك الموت فهذا لا يصح، كلّ ما جاء فيه أنّه ملك الموت ولا يصح تسميته "عزرائيل"، كما أنّ "رقيب" و"عتيد" ليست من أسماء الملائكة، وإنّما هما وصفان لـ"الكرام الكاتبين" ﴿مَا يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:18] وهم "الكرام الكاتبون" فلنتنبّه لهذا.

---

[1] ذكره الشيخ في الصفحة 2 ، من الدرس الثاني.

ولم يرد ذكر للملائكة بأسمائهم إلاّ هؤلاء الستّة : "جبرائيل" و"ميكائيل" و"إسرافيل" و"مالك" و"منكر" و"نكير"، فنؤمن بهم تفصيلا ونؤمن ببقيّة الملائكة إجمالا ، فلنتنبّه لهذا ، هذا هو ما أحببت أن أنبّه عليه ممّا بقي من درس الأمس.

والآن نشرع في بقيّة الدّروس، ولعلّنا نحاول الاختصار في الشّرح فيما تبقّى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّه الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فيقول الشّيخ الفقيه الإمام الحافظ "أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي" – رحمه الله وغفر له و لشيخنا ولنا وللمسلمين – في وصيّته لولديه :

الجهاد في سبيل الله

ثمَّ الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ إنْ كَانَت بِكُمَا قُدرَةٌ عَلَيه ، أَو عَونُ مَنْ يَستَطِيعُ إنْ ضَعُفتُمَا عَنهُ.

فَهَذِهِ عُمَدُ فَرَائضِ الإسلاَم، وَأركَانُ الإيمانِ، حَافِظَا عَلَيهَا، وَسَابِقَا إلَيهَا، تَحُوزَا الخَيْرَ العَظِيمَ، وَتَفوزَا بِالأجرِ الجَسِيمِ، وَلاَ تُضَيِّعا حُقُوقَ اللهِ فيهَا وَأَوامِرَه بهَا، فَتَهلَكَا مَعَ الخَاسِرِين، وَتَندَما مَعَ المفرِّطِين.

حثّ ولديه على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، قال الله عزّ وجل ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:69]وقال جلّ وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف:10-11]، ويقول جلّ وعلا ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج:78].

وليس الجهاد قاصرا على القتال؛ بل قد يكون الجهاد بالقلم، قد يكون بالسّيف، قد يكون بالنّفس، قد يكون بالمال، قد يكون بالدّعوة إلى الله جلّ وعلا، قد يكون بطلب العلم فإنّ من يطلب العلم سمّاه النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – جهادا، قال ((الذِي يَأتِي إلَى هَذَا المسجِدِ لاَ يَأتِي إلاَّ لطَلَبِ العِلمِ، فَهوَ كَالمجَاهِدِ في سَبِيلِ اللهِ)) أو كما قال – صلّى الله عليه وسلّم –.

والجهاد الذي هو بمعنى القتال له شروط وضوابط لابدّ من التنبّه لها، منها:

أوّلا: الإخلاص، أنّه عبادة ومن شروط العبادة الإخلاص لله وحده.

ومنها: أن يكون على هدي النّبي – صلّى الله عليه وسلّم –.

ومنها: أن يكون تحت راية التّوحيد ((لَيسَ مِنَّا مَن قَاتَل تَحتَ رَايةٍ عِمِّيَّةٍ))

ومنها: وجود الشّوكة والمنعة، فإن كان المسلمون في حال ضعف، فلا ينبغي لهم الإلقاء بأنفسهم إلى التهلكة.

ومنها: ألاّ يكون المقاتَلون بينهم عهد وبين المسلمين، قال الله جلّ وعلا ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال:72]

ومنها: إذن وليّ الأمر.

ومنها: إذن الوالدين .

ومنها: غلبة الظنّ بغلبة المسلمين.

ومنها: وقوف النّاس في وجه الدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

فإذا توافرت هذه الشّروط فحيّ على الجهاد، والنّاس في هذا الزّمان في مسألة الجهاد على **ثلاثة أقسام**، طرفان ووسط:

طرف ألغى الجهاد بالكليّة ، وهم غلاة المتصوّفة، وزعموا أنّ زمن الجهاد قد ولّى وانقضى، وقالوا: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وقالوا: علينا أن نكتفي بجهاد النّفس فقط، ولا نزيد على ذلك، وهذا من الخنوع، وهذا من جحد فرائض الله تبارك وتعالى ، فالجهاد باق إلى قيام السّاعة ((مَن مَاتَ ولَم يَغزُ، ولَم يُحدِّث نَفسَهُ بِالغَزو، فَمِيتَتُهُ مِيتةٌ جَاهِلِيَّة)) أو كما قال – صلّى الله عليه وسلّم –.

وآخرون سمّوا الجهاد بغير اسمه، وألقوا بالمسلمين في متاهات خطيرة، بل زعموا أنّ قتال المسلمين هو الجهاد، وزعموا أنّ الخروج على أئمّة المسلمين هو الجهاد في سبيل الله، وزعموا أنّ التّفجيرات في بلاد المسلمين هو الجهاد في سبيل الله ، وزعموا أنّ قتال من يخالفهم كما هو منهج الخوارج متعيّن قبل جهاد الكفّار، وهذا هو مذهب الخوارج المارقين من الدّين ، القدامى والمعاصرين، و الذين أخبر عنهم النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – بأنّهم ((حُدَثَاءُ الأَسنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحلاَمِ، يَقتُلُونَ أَهلَ الإِسلاَمِ، وَيَدَعُون أَهلَ الأَوثَانِ، يَقرَؤُونَ القُرآنَ لاَ يُجَاوِز حَنَاجِرَهُم، يَقُولُون مِن قَولِ خَيرِ البَرِيَّة، يَمرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّة، لاَ يَعودُونَ إِلَيهِ حَتَّى يَعودَ السَّهمُ إِلَى فُوقِهِ))، هؤلاء أدعياء الجهاد، الذين فرّقوا الأمّة، والذين أصبحوا خنجرا مسموما في صدور الأمّة قبل أعدائها، والذين يجب البدء بهم، يقول النّبي – صلّى الله عليه وسلّم –: ((لَئِن أدرَكتُهُم لأَقتُلَنَّهم قَتلَ عَاد، قَاتِلُوهُم حَيثُ

ثَقِفتُموهُم، أقتلُوهم حَيثُ وَجَدتمُوهُم ، شَرُّ قَتلَى تَحتَ أَدِيمِ السَّماء، شرُّ قَتلَى قَتلاَهُم، خَيرُ قَتِيلٍ مَن قَتلُوه، إنَّ لِمَنْ قَتَلَهُم أَجرًا)) وهؤلاء هم الذين لهم صولة وجولة في هذه الأيّام، يستبيحون دماء المسلمين ، يقتلون أصحاب رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم – ويتساءلون عن حكم قتل البعوضة، قتلوا عليّا – رضي الله عنه –، وهمّوا بقتل "معاوية" و"عمرو بن العاص"– رضي الله عنهما –، ومازالوا يشكّلون الخطر العظيم على المسلمين ، لماذا ؟ لأنّهم يتكلّمون باسم الدّين، والدّين منهم براء، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، شغلهم القيل والقال، والتمحّل والتكلّف، والتنطّع والغلو، وليّ أعناق النّصوص وصرفها عن ظاهرها الذي تدلّ عليه، فحيث ما وجدتموهم فاقتلوهم.

هاتان الطّائفتان؛ الطّائفة التي ألغت الجهاد، وهم بعض غلاة المتصوّفة، والطّائفة التي تستحلّ دماء المسلمين وتسمّيه جهادا وهم الخوارج ضالّتان عن سواء السّبيل، وإن ادّعوا الدّين، وإن تزعّمهم فلان وعلاّن فإنّهم من أشقى النّاس والعياذ بالله.

وأمّة محمد وعلماء الدّين الحنيف الذين تفقّهوا في دين الله يقولون الجهاد باق إلى قيام السّاعة، لكن لابدّ فيه من مراعاة ضوابط وقواعد، ولابدّ من فهمها قبل الإقدام على الجهاد، فعلينا أن نتنبّه لهذا الخطر، وأن نجتهد في فهمه وفق فهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه والتّابعين لهم بإحسان.

قال –رحمه الله –:

طلب العلم

وَاعلَمَا أَنَّكُما إنَّما تَصِلاَن إلى أَدَاءِ هَذِه الفَرَائض وَالإتيَانِ بما يَلزَمُكُمَا مِنهَا مَعَ تَوفِيقِ اللهِ لَكُما بِالعِلمِ الذِي هوَ أصلُ الخَيْر، وَبِه يُتوصَّلُ إلى البِرِّ، فَعَليكُما بِطَلَبِه ؛ فَإنَّه غِنىً لطَالبِه، وَعِزٌّ لحَامِلِه، وَهُو مَعَ هَذا السَّببُ الأَعظَم إلى الآخِرة ؛ بِه تُجتَنبُ الشُّبهاتُ، وتَصِحُّ القُربَاتُ، فَكَم مِنْ عَامِلٍ يُبعِدُه عَمَلُه مِنْ ربِّه، ويُكتَبُ مَا يَتقَرَّبُ بِه مِنْ أكبَرِ ذَنبِه. قَال اللهُ تعَالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) ﴾ [الكهف: 103- 104]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 9] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: 28]. وقَالَ تعَالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: 11].

بعد أن بيّن المؤلّف –رحمه الله – الإيمان وأركانه، وبعض مسائله، وأركان الإسلام، والجهاد وأهميّته، بيّن أنّ هذه المسائل التي هي الدّين كلّه لا يُمكن أن تُفهم إلاّ بالعلم والتعلّم، وحثّ ولديه على طلب العلم، فبالعلم يفرّق المرء بين الحلال والحرام، وبين التّوحيد والشّرك، وبين الحقّ والباطل، وبين الهدى والضّلال، وبين الطّريق المعوج والطّريق المستقيم، وبين طريق أهل الضّلال وطريق أهل الهدى والرّشاد.

العلم يضيء للمسلم طريقه، فلا يعبد الله إلاّ بما شرع، ويبتعد بسبب ذلك عن البدع، العلم نور يضيء للمسلم الطّريق، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –: ((العِلمُ نُورٌ)) لأنّ من لم يتفقّه في دين الله يظنّ أنّه على خير وهو على شر، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) ﴾ [الكهف: 103-104] ، العلم تمييز يميّز به المرء بين الأشياء، العلم يستطيع طالب العلم أن يدحض الشّبهات، وأن يفهم خطورة الشّهوات والشّبهات، وأن يفرّق بين المأمورات والمنهيّات، وأن يعبد الله تعالى على بصيرة ﴿قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108].

العلم يا عبد الله تستطيع أن تحصّل به أجرا عظيما حتّى بعد وفاتك، يقول النّبي – صلّى الله عليه وسلّم –: ((إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عَملُهُ إلاّ مِن ثَلاث: صَدَقةٍ جَارِية، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَه، أو عِلمٍ يُنتفَعُ بِه)). العلم له فضل عظيم على صاحبه، يرفعه الله في الدّرجات العُلا ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة:11]، يرزقك خشية الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:28]، يجعلك تفرّق بين الأشياء ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 9] ، تعبد الله على بصيرة، تطبّق أمر الله، وتجتنب ما حرّم الله، لك أجر عملك، ولك مثل أجر كلّ من تبعك من غير أن ينقص من أجورهم شيئا.

العلم دليل على إرادة الله بك الخير ((مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّين))، العلم راحة لك في أمر دينك ودنياك، فتزوّد يا عبد الله بالعلم النّافع والعمل الصّالح، بالتّتلمذ على العلماء الربّانيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، الذين ينفون عن كتاب الله جلّ وعلا تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قال –رحمه الله–:

فضَائلُ العِلم

وَالعِلمُ سَبِيلٌ لاَ يُفضِي بِصَاحِبِه إلاَّ إلى السَّعَادَة، وَلاَ يَقصُرُ بِه عَن دَرَجَة الرِّفعَةِ وَالكَرَامَة. قَلِيلُه يَنفَعُ، وَكَثِيرُه يُعلِي وَيَرفَع، كَنْزٌ يَزكُو عَلَى كُلِّ حَال، وَيَكثُر مَع الإنفَاقِ، وَلاَ يَغصِبُه غَاصِبٌ، وَلاَ يُخَافُ عَلَيهِ سَارِق وَلاَ مُحَارِب.

فَاجتَهِدَا فِي طَلَبِه، وَاستَعذِبَا التَّعَبَ فِي حِفظِه، وَالسَّهرَ فِي دَرسِه، والنَّصَبَ الطَّوِيلَ فِي جَمعِه، وَوَاظِبَا عَلَى تَقيِيدِه وَرِوَايَتِه، ثمَّ انتَقِلاَ إلَى فَهمِه وَدِرَايَتِه.

ثمّ أشار إلى بعض فضائل العلم منبّها ابنيه إلى ذلك، فمن أعظم فوائده أنّه يرفعك في الدّنيا والآخرة، ينفع قليله وكثيره، صاحب العلم له شأن عظيم عند الله تبارك وتعالى ((فَضلُ العَالِمِ علَى العَابِد كَفضلِي علَى أدنَاكُم، فَضلُ العَالِمِ علَى العَابِدِ كَفَضلِ القَمرِ لَيلَةَ البدرِ عَلَى سَائِرِ الكَواكِب، وإنَّ المَلائِكَة لَتضَعُ أجنِحَتَها لِطالِبِ العِلمِ رِضًا بِمَا يَصنَع))، وإنَّ العالم وطالب العلم ليستَغفرُ له من فِي السَّماوات وَالأرض حتَّى الحيتَان في جوف البحر، وأنَّه طريق الجنَّة ((مَن سَلكَ طَرِيقًا يَلتمِسُ فِيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلَى الجَنَّة)) وأنَّه سبب الرّفعة، والمكانة العالية ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11].

كما أنّ العلم يجعل صاحبه في مصافّ أهل العلا في الدّنيا والآخرة، ومن أهل السّعادة الذين يسعدون في دنياهم وأُخراهم، كما أنّ من يطلب العلم دائما وهو في سكون وراحة ودَعة، لأنّه واثق فيما عند الله، ولأنّه حسن الظنّ بالله ولأنّه كثير التّطبيق لشرائع الله. طالب العلم يعمل وهو واثق من عمله، لأنّه يعبد الله تبارك وتعالى على بصيرة، فعلينا أن نُعنى بطلب العلم، وأن نجتهد في تحقيق منافعه وفوائده، وثمرة العلم هي العمل، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تبارك وتعالى.

قال – رحمه الله –:

رفعَة أهلِ العِلم

وانظُرَا أَيَّ حَالَةٍ مِنْ أَحوَالِ طَبَقَاتِ النَّاسِ تختَارَان، وَمنْزِلَةَ أَيِّ صِنفٍ مِنهُم تُؤثِرَان؛ هَل تَرَيَانِ أحَداً أَرفَعَ حَالاً مِنَ العلَمَاءِ، وَأفضَلَ منْزلةً مِنَ الفُقَهَاء؟ يحتَاجُ إلَيهِم الرَّئيسُ وَالمرؤُوس، ويَقتَدِي بِهِم الوَضِيعُ وَالنَّفِيسُ، يُرجَعُ إلى أَقوَالِهِم في أُمُور الدُّنيَا وأَحكَامِهَا، وَصِحَّةِ عقُودِهَا وبِياعَاتِها،

وَغيْرِ ذَلكَ مِنْ تَصرفُّفَاتِها، وَإليهِم يُلجَأ في أُمُورِ الدِّين وَمَا يَلزَم مِنْ صَلاَةٍ وَزكَاةٍ وَصِيَامٍ وحَلاَلٍ وَحَرَام. ثمَّ مَع ذَلكَ السَّلاَمَةُ منَ التَّبِعَات، وَالحَظوَةُ عِند جميعِ الطَّبَقَاتِ.

وَالعِلمُ وِلاَيَةٌ لاَ يُعزَلُ عَنهَا صَاحِبُهَا، وَلاَ يَعرَى مِن جَمَالِهَا لاَبسُهَا، وَكُلُّ ذِي وِلاَيةٍ وَإنْ جلَّتْ، وَحُرمَةٍ وَإنْ عَظُمَتْ، إذَا خَرَج عَن وِلاَيتِه، أَو زَالَ عَن بَلدَتِه، أَصبَحَ مِنْ جَاهِهِ عَارِياً، وَمِنْ حَالِه عَاطِلاً، غيْرَ صَاحبِ العِلم؛ فَإنَّ جَاهَه يَصحَبُه حَيثُ سَارَ، وَيتَقدَّمُه إلى جَميعِ الآفَاقِ وَالأقطَارِ، وَيبقَى بَعدَه في سَائرِ الأعصَارِ.

العلم رفعة لأهله كما تقدّم ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11]، والعلم راحة لصاحبه في أمر دينه ودنياه، والعلم يوصل صاحبه إلى درجات العلا، والمناصب العظيمة ولو لم يطلب ذلك، ولذلك يُروى عن "سفيان" أنّه «طَلَبنَا العِلمَ لِغَيرِ الله فَأَبَى إلاَّ أَن يَكونَ لله»، وطالب العلم يعرف الحلال من الحرام، والخبيث من الطيّب، والحقّ من الباطل كما تقدّم، وطالب العلم له منزلة رفيعة عظيمة عند الرّئيس والمرؤوس، والصّغير والكبير والذّكر والأنثى، والوضيع والشّريف، كلّهم يحترم من يطلب العلم لأنّهم بحاجة إليه، طالب العلم ينفع إخوانه المسلمين بما يسديه إليهم من نصح وعلم ودعوة وإرشاد، وما يوجّههم به من خير في كتاب الله جلّ وعلا، وسنّة رسوله – صلّى الله عليه وسلّم –، طالب العلم يملك كنوزا لا تفنى بخلاف سائر المناصب، فالرّئيس والمرؤوس والأمير والمأمور، والحاكم والمحكوم كلّهم تتلاشى أمورهم بمجرّد أن ينتقلوا من حال إلى حال، أمّا صاحب العلم فإنّه باق في صدره يحمله معه حيث ما كان، فلو جُرِّد من جميع أموره، ومن جميع شئون دنياه فإنّه لا يمكن أن يجرّد من علمه، فعليكم بالعلم فإنّه طريق الهدى وطريق الهداية وطريق السّعادة في الدّارين.

قال – رحمه الله –:

أفضل العلومِ علمُ الشَّريعَة

وأَفضَلُ العُلُومِ عِلمُ الشَّرِيعَة، وَأفضَلُ ذَلكَ لمن وُفِّقَ أنْ يُجوِّدَ قِرَاءَةَ القُرآن، وَيحفَظَ حَديثَ النَّبي – صلّى الله عليه وسلّم- وَيَعرِفَ صَحِيحَه مِنْ سَقِيمِه، ثمَّ يَقرأُ أُصُولَ الفِقهِ، فَيَتَفَقَّهَ في الكِتَابِ وَالسنَّةِ، ثمَّ يَقرأُ كَلاَمَ الفقهَاءِ، وَمَا نُقِلَ مِنَ المسَائِلِ عَنِ العُلَمَاءِ، ويَدْرَبَ في طُرُقِ النَّظَرِ وَتَصحِيحِ الأدلَّة وَالحُجَج، فَهَذِه الغَايَةُ القُصوَى، وَالدَّرَجَةُ العُليَا.

العلم درجات وقبل أن نشرح كلام المصنّف فإنّ العلم نوعان:

علم يُعتبر فرض عين لا يُعذر به مسلم بل تلزمه معرفته، وعلم هو فرض كفائي

فالعلم الذي هو فرض عين، معرفة التّوحيد وما يضادّه من الشّرك، معرفة أركان الإسلام وأركان الإيمان، معرفة الحلال من الحرام، هذا القدر فرض عين لابدّ منه.

وهناك ما هو فرض كفاية وهي كونه يسعى أن يكون وجّها أو معلّما أو مرشدا أومفقّها أو محدّثا، أو نحو ذلك، فهذه الأمور فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقطت عن الآخرين، وإن تركوها جميعا أثموا جميعا.

وعلى المسلم أن يبدأ بالتدرّج فيبدأ بكتاب الله جلّ وعلا تعلّما وتعليما وتجويدا وترتيلا وفهما،﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد:24]، ثمّ بعد ذلك أعني بعد أن يُتقن القرآن أو شيئا منه ولو نظر ويحفظ ما استطاع أن يحفظ، يبدأ بالسنّة، أو يبدأ بهما جنبا إلى جنب، فيحفظ مثلا (الأربعين النوويّة)، ثمّ يتعلّم أصول الفقه وأصول الحديث ، وأصول التّفسير، ثمّ الفقه، ثمّ التّفسير، ثمّ سائر العلوم،وقبل ذلك كلّه توحيد الله سبحانه وتعالى، والعقيدة الصّافية المستمدّة من الكتاب والسنّة، والخالية من كلّ كدر، ثمّ يتبحّر في سائر العلوم إن شاء، ولكن المهم أن يُتقن هذه المبادئ الأولية قبل كلّ شيء.

وممّا يجدر التّنبيه إليه أنّ البعض من النّاس يتعالمون ويدّعون العلم، وهم ليسوا أهلا لذلك، فيأخذون في النّشر هنا وهناك قبل أن يكونوا مأهّلين للعلم النّافع، وربّما أحدثوا فتنا وسبّبوا فُرقة، وفسّقوا وبدّعوا وكفّروا بغير علم، وهذا أمر في غاية الخطورة، وكلّ ذلك ناتج عن ضعف العلم، وعن كونهم لم يأخذوا العلم عن أهله، لم يأخذوه عن العلماء الربّانيين، وإنّما أخذوه من زُبالات الانترنيت، أو من زُبالات الصّحف، أو عن الموتورين من أهل الإفراط والتّفريط، أو عن بعض أدعياء العلم الذين يستحلّون بعض المحرّمات، ويتجرّؤون على الفتوى بغير علم، فمنهم من أحلّ الغناء ومنهم من أحلّ التمثيليّات، ومنهم من أحلّ اختلاط النّساء بالرّجال ومنهم من أحلّ العزف والمعازف، ومنهم ....ومنهم،وكلّ هؤلاء بعيدون كلّ البعد عن الجادّة، ولا يتورّع بعض الجهلة من أن يأخذ علومه عنهم فيضلّ ويُضل، كما قال النّبي – صلّى الله عليه وسلّم -: ((إِنَّمَا أَخشَى عَلَى أُمَّتِي الأئمَّةَ المُضلِّينَ))، وقال – صلّى الله عليه وسلّم -: ((إِنَّ اللهَ لاَ يَنتزِعُ العِلمَ انتزَاعًا، ولكِن يَقبِضُهُ بِقَبضِ العُلَمَاء، حتَّى إِذَا لَم يَبقَ عالِمٌ اتَّخذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالاً فَسَأَلُوهُم فَأفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضلُّوا وأضلُّوا)) لذلك يجب أن نتنبّه إلى خطورة التّعالم، وعلى كلّ مسلم أن يعرف قدر نفسه،وأن يستحيَ من الله فلا يتكلّم في مسالة وإلاّ وعنده فيها علم من الله، أو من هدي رسوله – صلّى الله عليه وسلّم -.

قال – رحمه الله– :

التفقُّه في الدِّين

وَمَن قَصَّرَ عَن ذَلكَ، فَليَقْرأْ بَعدَ تَحفُّظِ القُرآنِ ورِوَايةِ الحَدِيثِ المسَائِلَ عَلَى مَذهَبِ "مَالكٍ" – رحمه الله– ؛ فَهيَ إذَا انفَرَدَتْ، أَنفَعُ مِنْ سَائرِ مَا يُقرَأ مُفرَداً في بَابِ التفَقُّهِ، وَإنَّمَا خَصَّصنَا مَذهَبَ "مالكٍ" – رحمه الله– ؛ لأَنَّه إمَامٌ في الحَدِيثِ، وإمَامٌ في الرَّأي، وَلَيسَ لأَحَدٍ مِنَ العلَمَاءِ مِمَّن انبسَطَ مَذهبُه وَكَثُرَت في المسَائِلِ أَجوبَتُه دَرَجَةُ الإمَامَةِ فِي المَعنَيين، وَإنَّمَا يُشاركُه في كَثرَةِ المسَائِلِ وَفُرُوعِهَا وَالكَلاَمِ عَلَى مَعَانيهَا وَأصُولِهَا "أبو حَنِيفَة" و"الشَّافِعِي"، وَلَيسَ لأَحدِهمَا إمَامَةٌ في الحَدِيثِ، وَلاَ دَرجَة مُتوَسِّطَة .

هنا يبيّن المصنّف –رحمه الله – أهميّة التفقّه في الدّين، وذلك بدراسة القواعد وفقه الأئمّة، والإفادة ممّا تقدّم من كتبهم والتتلمذ على كتبهم، وفهم قواعدهم وفهم أصولهم، وفهم مقاصد الشّريعة؛ لأنّ ذلك يساعد ويعين على فهم الكتاب والسنّة، والتأسّي بالفقهاء الربّانيين الذين جمعوا بين الرّواية والدّراية، وضرب لهم مثلا بالإمام "مالك" –رحمه الله تعالى–؛ وهو أعلم أهل زمانه –رحمه الله– والذي قيل فيه: (لاَ يُفتَى ومالكٌ فِي المَدِينة)، وهو الذي كان أشدّ النّاس على البدع، وهو الذي يقول: «مَن ابتَدَعَ بِدعةً يَرَى أَنَّها حَسَنَةٌ، فقَد زَعَم أنَّ محمّدًا – صلّى الله عليه وسلّم – قَد خَانَ الرِّسَالة»، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

فهنا يتجلّى التأسّي بأمثال الإمام "مالك" وغيره من أئمّة الهدى والدّين، من أمثال الإمام "أبي حنيفة"، و"الشّافعي"، و"أحمد"، و"الثّوري"، و"سفيان بن عيينة"، و"اللّيث بن سعد"، و"الأوزاعي" و"عبد الرزّاق"، و"عبدُ بن حُميد"، و"البخاري"، و"مسلم"، وأصحاب السّنن الأربع، و"البغوي" و"ابن أبي بطّة العُكبري"، وشيخ الإسلام "ابن تيميّة"، وتلميذه "ابن القيّم"، وشيخ الإسلام المجدّد "محمد بن عبد الوهاب"، وتلاميذه من أحفاده، وتلامذته، وأئمّة الهدى من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فإذن ينبغي التأسّي بهؤلاء ، وأمّا قول المصنّف – رحمه الله – عن "الشّافعي" بأنّه ليس من أهل الحديث فهو محلّ نظر، فـــ "الشّافعي" من أهل الحديث، أمّا"أبو حنيفة" – رحمه الله تعالى– فإنّه كثيرا ما يقف عند الرّأي، ولكن إذا ظهر له الحديث اتّبعه، كيف لا وهو القائل «إِذَا صَحَّ الحدِيثُ فَهوَ مَذهَبِي»، وقد قال ذات يوم له رجل عندما ذُكر حديث ((أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانا أَحسَنُهُم أَخلاَقًا))

قالوا: لم لا تردّ عليه يا أبا حنيفة ؟، قال: «وَيحَك أرُدُّ عَليهِ وَهُوَ يَقُول قَالَ رسُول اللهِ- صلَّى الله عليهِ وسلَّم -». فعلينا أن نتأسّى بهؤلاء الأئمّة المباركين؛ سواء من برع منهم في الفقه، أو من برع في الحديث، أو من جمع بين الأمرين.

قال –رحمه الله -:

النَّهيُ عَن قِرَاءَة كُتبِ المنطِقِ وَالفَلسَفَة

وَإِيَّاكُمَا وَقِرَاءَةَ شَيءٍ مِنَ المنطِق وَكَلاَمِ الفَلاَسِفَة ؛ فَإِنَّ ذَلكَ مَبنِيٌّ عَلَى الكُفر وَالإِلحَادِ، وَالبُعدِ عَنِ الشَّرِيعَةِ والإِبعَادِ.

بعد أن حثّ على قراءة القرآن والحديث والسنّة، والسّير على منهج السّلف الصّالح المُقتدى بهم، حذّر ممّا وقع فيه الكثير من النّاس من الاشتغال بعلم الفلسفة والمنطق، حتّى ضلّ الكثير منهم بذلك عن سواء السّبيل.

وعلم المنطق اختلف النّاس في تعلّمه وتعليمه على ثلاثة أقسام:

قسم يجيزون تعلّمه مطلقا، وآخرون يحرّمونه مطلقا، وآخرون يقولون لا بأس أن يُتعلّم بعد أن يكون متمكّنا ومتزوّدا من الشّريعة، ومتمكّنا من العقيدة؛ حتّى لا تنخدع بتلك القواعد المنطقيّة التي كثيرا ما تفضي بأصحابها إلى الضّلال، والتي يقول أصحابها:

نِهَايةُ إقدَامِ العُقولِ عِقَالُ *** وأَكثرُ سَعيِ العَالِمِينَ ضَلالُ

وأَروَاحُنَا فِي وحشَةٍ مِن جُسُومِنَا *** وأكثرُ دُنيَانَا أذًى ووبَالُ

ولَم نَستَفِد مِن بَحثِنَا طُولَ عُمرِنَا *** سِوى أن جَمعنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

فانتبه يا عبد الله، انتبه لذلك واحذر من الاغترار بأصحاب المنطق والفلسفة التي خرّبت العقيدة، والتي هي العلم الذي يُدرّس في العقيدة في أكثر بلاد المسلمين، فوا أسفاه تركوا الكتاب والسنّة، واقبلوا على زُبالات "جهم"، و"الجعد بن درهم"، و"واصل بن عطاء"، و"أبي الحسين البصري"، وغيرهم ممّن جاء بعدهم، فانتبهوا والصّحيح أنّ فيه تفصيلا في تعلّم المنطق والفلسفة، فمن خشي على نفسه أنّه يضرّ به، يحرم عليه تعلّمه، ومن تضلّع في الدّين حتّى أتقنه وأراد أن يستفيد بقوّة الحجّة والبيان ولو من باب الردّ على الخصوم من خلال ما يؤمنون به كان ذلك جائزا، بعد أن يكون قد فهم العقيدة الصّحيحة وابتعد عن كلّ ما يُخالف ذلك.

قال – رحمه الله –:

قِرَاءَة كُتبِ المنطِق تَكُون بعدَ التمَكُّن في الدِّين

وَأحذِّرُكُمَا مِن قِرَاءتِهَا مَا لمَ تَقرَءَا مِنْ كَلاَمِ العُلَمَاءِ مَا تَقوِيَانِ بِه عَلَى فَهمِ فَسَادِهِ وَضَعفِ شُبَهِهِ، وَقِلَّةِ تَحقِيقِه ؛ مَخَافَةَ أنْ يَسبِقَ إلىَ قَلبِ أَحَدِكُمَا مَا لاَ يَكُونُ عِندَهُ مِنَ العِلمِ مَا يَقوَى بِهِ عَلَى رَدِّهِ. وَلذَلِكَ أَنكَرَ جَمَاعَةُ العُلَمَاءِ المتقَدِّمِينَ وَالمتَأخِّرِينَ قِرَاءَةَ كَلاَمِهِم لَمن لم يَكُن مِنْ أَهلِ المنْزِلَةِ وَالمعرِفَة بِه ؛ خَوْفاً عَلَيهِم مِمَّا خَوَّفتُكُمَا مِنهُ.

وَلَو كُنتُ أَعلَمُ أَنَّكُمَا تَبلُغَانِ مَنْزِلَةَ الميْزِ وَالمَعرِفَةِ، وَالقُوَّة عَلَى النَّظَر وَالمقدِرَةَ، لَحَضَضتُكُمَا عَلَى قِرَاءَتِهِ، وَأَمَرتُكُمَا بمطَالَعَتِهِ، لِتُحَقِّقَا ضُعفَه وَضُعفَ المعتَقِدِ لَه، وَرَكَاكَةَ المغتَرِّ بِه، وَأَنَّهُ مِنْ أَقبَحِ المخَارِيقِ وَالتَّمويهَاتِ، وَوُجُوهِ الحِيَل وَالخُزَعبَلاَتِ التي يَغتَرَّ بهَا مَنْ لاَ يَعرِفُهَا، وَيستَعظِمُهَا مَنْ لاَ يُميِّزُهَا.

وَلذَلِكَ إذَا حَقَّقَ مَنْ يَعلَمُ عِندَ أَحَدٍ مِنهُم وَجَدَهُ عَارِياً مِنَ العِلمِ، بَعِيداً عَنهُ، يَدَّعِي أَنَّه يَكتُمُ عِلمَهُ، وَإِنَّما يَكتُمُ جَهلَهُ، وَهُو يَنِمُّ عَلَيهِ، وَيَرُوم أَن يَستَعِينَ بِه، وَهُو يُعينُ عَلَيهِ.

وَقَد رَأَيتُ بِبَغدَادَ وَغَيْرِهَا مَنْ يَدَّعِي مِنهُم هَذَا الشَّأنَ مُستحقَراً مُستَهجَناً مُستَضعَفاً، لاَ يُنَاظِرُهُ إلاَّ المبتَدِئُ، وَكَفَاكَ بعِلمٍ صَاحِبُه في الدُّنيَا مَرمُوقٌ مَهجُورٌ، وَفِي الآَخِرَةِ مَدحُورٌ مَثبُورٌ. وَأَمَّا مَنْ يَتَعَاطَى ذَلكَ مِنْ أَهلِ بَلَدِنَا، فَلَيسَ عِندَه مِنهُ إلاَّ اسمُهُ، وَلاَ وَصَلَ إلَيهِ إلاَّ ذكرُهُ.

هنا يحذّر زيادة من التعلّق بالمنطق والفلسفة، وأنّه لا يجوز للمسلم أن يُشغل نفسه بعلم المنطق حتّى يكون متمكّنا من الشّريعة، وحتّى يفهم كلام العلماء الربّانيّين ويتتلمذ عليهم، وحتّى يفهم كيف ينقد هذا المنطق ويُبطله بالحجج القاطعة، والأدلّة الواضحة، فيجب على المسلم أن يبتعد عنه إلاّ بقدر الحاجة، وبعد أن يكون متضلّعا في الكتاب والسنّة لأنّ كثيرا ممّن شُغف بهذا العلم أفضى به الأمر إلى الحيرة بل وربّما إلى الردّة، لأنّه يشكّك في السمعيّات، ويؤكّد وجوب الاقتصار على العقليّات، ويعتمد على العقل المجرّد والعقل وحده ليس بشيء، وما ليس بشيء فليس بشيء، نعم يُعمل العقل ويُتدبّر به لكنّه يكون مع النصّ كالمقلِّد مع المتبوع، فلا يجوز أن يُشتغل بهذا العلم الفاسد. وكثيرا ما ضلّت عقائد النّاس بسبب ذلك.

ولذلك رجع عنه كثير من السّلف مثل "أبي المعالي الجُويني" ويقال إنّ "الغزالي" رجع، كما يُقال إنّ "الرّازي" قد رجع أيضا، وكلّهم ندموا على اشتغالهم بعلم المنطق، وتركهم علم هدي الكتاب

والسنّة، لأنّ علم الكتاب والسنّة هو طريق النّجاة وطريق السّلامة، تصوّر وتخيّل من يقول لك قال الله وقال رسوله فتُجيبه ، وبين من يبني بيتا على غير أساس،

والبَيتُ لاَ يُبتَنَى إلاَّ لَهُ عَمدٌ *** وَلاَ عِمَادَ إذَا لَم تُرفَع أوتَادُ

وعلم المنطق أساس هشّ قال الله جلّ وعلا ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة:109]

قال – رحمه الله –:

الأمرُ بالمعرُوف وَالنَّهي عَنِ المنكَرِ

وَعَلَيكُمَا بِالأَمرِ بِالمعرُوفِ وَكُونَا مِن أَهلِهِ، وَانْهَيَا عَن المنكَرِ وَاجتَنِبَا فِعلَه.

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام بها يُنشر الدّين، وبهما تقُوم الحجّة، وبهما يُردع الظّالم عن ظلمه، ويُنتصر للمظلوم، بهما تُحفظ الأبدان، وتُحفظ الأديان، وتُحفظ الأعراض، وتُحفظ الأموال، وتُحفظ العقول.

نعم بالأمر بالمعروف تسعد الأمّة وتتمكّن ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:41]، قال الله جلّ وعلا ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:104]، ويقول جلّ وعلا﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:157] وقال جلّ وعلا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ [آل عمران:110]، وما تُرك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلاّ وشقيت الأمّة، وبقدر ما يقوم المسلمون بواجبهم نحو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، بقدر ما تتحقّق سعادتهم في الدّنيا والآخرة.

قال – رحمه الله –:

طَاعَة وَليِّ الأَمرِ في غَيرِ مَعصِيةِ الله

وَأَطِيعَا مَنْ وَلاَّهُ اللهُ أَمرَكُمَا، مَا لم تُدَعَيَا إِلَى مَعصِيةٍ، فَيجِبُ أَن تَمتَنِعَا منهَا، وَتبذُلاَ الطَّاعَةَ فِيمَا سِوَاهَا.

طاعة ولي الأمر من طاعة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، قال الله جلّ وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:59]، ويقول النّبي – صلّى الله عليه

وسلّم -: ((مَن أطَاعنِي فَقد أطَاعَ الله، ومَن أطَاعَ الأمِيرَ فقَد أطَاعنِي وَمَن عصَى الأمِيرَ فَقَد عَصَانِي)) وأمر النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – بالسّمع والطّاعة وإن تأمّر علينا عبد، وأمر بالسّمع والطّاعة في العسر واليُسر ، والمنشَط والمكره،وعلى أثرة علينا، وامر بالطّاعة وإن جُلدت ظهورنا، وسلبت أموالنا ((أدُّوهُم الذِي لَهُم وَاسأَلُوا اللهَ الذِي لَكُم)) والطّاعة تكون في حدود طاعة الله جلّ وعلا، فإن أُمر بمعصية فلا طاعة إنّما الطّاعة في المعروف، ولكن مع كونه لا يُطاع في المنكر، فإنّ ذلك لا يُلغي طاعته فيما سوى ذلك.

قال – رحمه الله -:

التزَامُ الصِّدقِ واجتَنَابُ الكَذِب

وَعَلَيكُمَا بِالصِّدقِ ؛ فَإِنَّهُ زَيْنٌ، وَإِيَّاكُما وَالكَذِبَ فَإِنَّهُ شَيْنٌ، وَمَنْ شُهِرَ بِالصِّدقِ، فَهوَ نَاطِقٌ مَحمُودٌ، ومَنْ عُرِفَ بِالكَذِبِ فَهوَ سَاكِتٌ مَهجُورٌ مَذمُومٌ، وَأَقلُّ عُقُوبَاتِ الكَذَّاب أَلاَّ يُقبَلَ صِدقُهُ، وَلاَ يَتحَقَّقُ حَقُّه، وَمَا وَصَفَ اللهُ تَعَالى أَحداً بِالكَذِبِ إلاَّ ذَامًّا لَه، وَلاَ وَصفَ اللهُ تَعَالى أَحَداً بِالصِّدق إلاَّ مَادِحاً لَه وَمُرفِّعاً بِه.

ثمّ حثّهما على الصّدق في الأقوال والأفعال، وحذّرهما ممّا يضادّ ذلك وهو الكذب، قال الله جلّ وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119]، وقال تبارك وتعالى ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:15] فعلى المسلمين أن يُعنوا بذلك، يقول النّبي – صلّى الله عليه وسلّم -: ((عَلَيكُم بالصِّدق فَإنَّ الصِّدقَ يَهدِي إلَى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهدِي إلَى الجَنَّة ولاَ يَزالُ الرَّجُلُ يصدُقُ ويتَحرَّى الصِّدق حتَّى يُكتبَ عِندَ الله صدِّيقَا، وإيَّاكُم والكَذِب فإنَّ الكَذِبَ يَهدِي إلَى الفُجور، و إنَّ الفُجورَ يَهدِي إلَى النَّار، ولا يزالُ الرَّجُلُ يَكذِبُ ويتَحرَّى الكَذِب حتَّى يُكتَبَ عِندَ الله كذَابًا))

وإيّاك يا عبد الله، وإياكِ يا أمة الله أن تعلّموا أبناءكم الكذب، البعض من النّاس يأتيه أخوه لزيارته، فيقول للابن الصّغير: قل لهم أبي غير موجود ، وهو موجود، تستطيع أن تتخلّص بأيّ عذر وأنت لست ملزما أن تستقبل النّاس، لكن لا تعلّم أبناءك الكذب؛ حتّى ولو ببذل شيء من المال ثمّ تتخلّف عنه إذا وعدته بشيء فأعطه إيّاه، والكذب من علامات المنافقين، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –: ((آيةُ المُنافِقِ ثَلاث: إذَا حدَّثَ كَذَب، وإذَا وَعدَ أخلَف، وإذَا اؤتُمِنَ خَان)).

قال – رحمه الله –:

أَدَاءُ الأَمَانَة

وَعَلَيكُما بِأدَاءِ الأَمَانَة، وَإِيَّاكُما وَالإِلَمَامَ بِالخِيَانَةِ. أَدِّيَا الأَمَانةَ إلى مَنِ ائتَمَنَكُما، وَلاَ تَخُونَا مَنْ خَانَكُما، وَأَوفِيَا بالعَهدِ إنَّ العَهدَ كَانَ مَسؤُولاَ.

كذلك الأمانة وهي كلّ ما أمرك الله به أو نهاك عنه، فامتثال الأوامر أمانة، واجتناب النّواهي أمانة، وليست الأمانة قاصرة على وديعة تُودع عندك، أو على شيء تُستحفظ إيّاه، وإنّما الأمانة أعظم من ذلك، بل هي الدّين كلّه، قال الله جلّ وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:27]، وقال تبارك وتعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:8]، .....

فالأمانة كما قلنا هي الدّين كلّه قد عرضها الله على السّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، قال الله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72]، والأمانة من أوّل ما يُفقد من أمور الدّين حتّى يأتي في آخر الزّمان يُذكر أنّ بني فلان يوجد عندهم رجل أمين، فعلينا أن نُعنى بها وأن نؤدّيها كما أمرنا الله تبارك وتعالى ، وخلاصتها امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وأمّا الوديعة فهي جزء من هذه الأمانات ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:58].

قال – رحمه الله –:

تَتمِيم الكَيلِ وَالميزَانِ

أَوفِيَا الكَيلَ وَالوَزنَ ؛ فَإِنَّ النَّقصَ فِيه مَقتٌ، لاَ يُنقِصُ المالَ، بَل يُنْقِصُ الدِّينَ وَالحَالَ.

يجب على المسلم أن يوفّي الكيل والوزن، فإنّ الوفاء بالكيل والوزن من العدل، وإنّ عدم تحقيق ذلك غشّ للنّاس، وأوفوا الكيل والوزن، ويقول تعالى ﴿وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[1] [الإسراء:35]، ويقول جلّ وعلا ذامّا الذين يبخسون المكيال والميزان ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم

[1] الشعراء/182.

مَّبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين:1-6]، فوفّ يا عبد الله، أوفِ الكيل والوزن واجتهد في ذلك ، وإيّاك أن تُدخل على نفسك شيئا حراما تصطلي بحرّه يوم القيامة .

قال – رحمه الله –:

النَّهي عَن المشَارَكَة في سَفكِ الدِّمَاء المحرَّمَة

وَإِيَّاكُمَا وَالعَونَ عَلَى سَفكِ دَمٍ بِكَلِمةٍ، أَو المشَارَكَةَ فِيهِ بِلَفظَةٍ، فَلاَ يَزَالُ الإِنسَانُ فِي فُسحَةٍ مِنْ دِينِه مَا لم يَغمِسْ يَدَه أَو لِسَانَه فِي دَمِ امرِئٍ مُسلِمٍ. قَال الله تَعَالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 93].

نهى ولديه أن يُشاركا في سفك دماء المسلمين تحت أيّة ذريعة من الذّرائع، كما هو شأن الخوارج وغيرهم من دعاة الباطل، فعلى المسلم أن يطهّر يديه من دماء المسلمين، وقتل مسلم واحد كقتل جميع النّاس، قال الله جلّ وعلا ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [البقرة:32]، وقال تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:151]، وعدّ من السّبع الموبقات قتل النّفس التي حرّم الله سبحانه وتعالى، ويقول النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – ((لاَ يَزالُ المَرءُ فِي فُسحةٍ مِن دِينِه مَا لَم يُصِب دَمًا حَرَامًا)) أي ما لم يسفك دما حراما، وسواء كان ذلك بالحثّ أو الحضّ أو المشاركة باليد أو اللّسان أو الكلمة فكلّ ذلك يُدخل في الإثم والعياذ بالله ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:93].

وقد كثُر القتل في هذه الأزمنة وبعضه باسم الدّين؛ من أمثال ما تفعله الشّرذمة الباغية الخارجة على الدّين وعلى الأمّة، شرذمة البغي والضّلال، شِرذمة أصحاب الفتاوى القابعين في الكهوف ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:104]، كم يتّموا من أطفال، كم رمّلوا من نساء، كم سفكوا من دماء، كم روّعوا من آمنين، كم أخافوا من آمنين، كم أعانوا أعداء الإسلام على المسلمين، إنّ الخوارج في هذا العصر قدّموا خدمة لليهود لم يقدّمها كثير من اليهود لليهود، وذلك بأن شغلوا المسلمين ببعضهم، ونادوا بفكر الخوارج وكفّروا المسلمين، والرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – يقول: ((مَن قَالَ لِأخِيهِ يَا كَافر، فَقَد بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا))، يقول بعض السّلف: «لأَن أُخطِئَ فِي عَدَمِ تَكفِيرِ كَافِرٍ، أحبُّ إِليَّ مِن أَن أخطِئَ فأُكفِّرَ مُسلِمًا».

فانتبه يا عبد الله واحذر من هذا الفكر الذي انتشر واستشرى بسبب ضُلاّل، جهّال، سفهاء، لا يعرفون من الدّين إلاّ رسمه، يلوون أعناق النّصوص ويتلاعبون بها ، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، ولعلَ وراءهم من وراءهم من المنظّمات الصهيونيّة، والماسونيّة، والرّوتارِ، وغيرهم من منظّمات الفسق والكفر. فعلينا أن نتنبّه، وأن نرجع إلى العلماء الربّانيّين الذين وصفناهم لكم في درس البارحة.

وبهذا نختم درس اليوم، إلى الغد إن شاء الله، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحسن الله إليكم وبارك فيكم ونفعنا بما سمعنا وجعله في ميزان حسناتكم.

الأسئلة:

س: يقول السّائل، هل "هاروت" و"ماروت" من الملائكة ؟

ج: الذي يظهر أنّهما ليسا من الملائكة، والأقوال في المسألة كثيرة ، وقد نُسج حول هذه المسألة أمور كثيرة، ولعلّه يُتوسّع فيها في وقت آخر إن شاء الله تعالى.

س: أحسن الله إليكم يقول السّائل، يقول بعضهم أن صاحب (الظّلال) قد تاب، وأنّه من أهل السنّة، وأنّنا نأخذ من كتبه الحق، وندع الباطل، وأنّهم يطعنون فيمن يحذّر منه ؟

ج: ثبّت العرش ثمّ انقُش.

س: يقول أحسن الله إليكم، ذكرتم حفظكم الله التّحذير من كتب الفلاسفة والمناطقة، فما هي الكتب التي تحذّرون منها في هذا الزّمان ؟

ج: منها كتب صاحب (الظّلال)، ومنها (أمّ البراهين الكبرى) و(أمّ البراهين الصّغرى) و(الجوهرة)، و (شروح الجوهرة) شرح "ابن عاشر" وغيرها، ومنها (المواقف) للأَيجي، وكتب (الرّازي)، وكتب المعتزلة، وكتب الجهميّة، كلّها يجب البعد عنها، وكتب الإخوان المسلمين، وتلاميذ "سرور"،وغيرها من الكتب الضالّة، وكتب الرّافضة، وكتب المتصوّفة، كلّ هذه كتب مليئة بالضّلال.

فـــ (الظّلال) مليء بالضّلال فيه تكفير المسلمين، وفيه غمز الأنبياء، وفيه النّيل من الصّحابة، وفيه إنكار أسماء الله وصفاته، وفيه القول بوحدة الوجود، وفيه تصديق القصص التّاريخي، وتكذيب الأحاديث النبويّة، وفيه تحريف القرآن عن مواضعه، وهو ليس كتاب تفسير كما يزعم الزّاعمون بل هو كتاب (**تخسير**) بالخاء، فاحذر منه يا عبد الله، فإنّه لقوّة أسلوبه ولبلاغة ألفاظه قد يؤثّر على السذّج الذين ليس عندهم علم بالعقيدة.

ونحن لا نتكلّم بمصير، ولا في مآله عند ربّه فقد أفضى إلى ما أفضى إليه، والله أعلم بما إذا كان معذورا بجهله أم لا، لكن يجب التّحذير من كتبه، أنا أقول ليس فيها خير مطلقا، بل شرّها أكثر من خيرها، كتبه مليئة بالشر كيف يحلو لك أن تقرأ كتبا وتُشغف بها، وفيها غمز لأنبياء الله عزّ وجل. لو جاءك واحد من الشّارع الآن وقال لك نبيّ الله "موسى" – عليه السّلام – عصبيّ المزاج أظنّك يمكن إلاّ أن تتذكّر من خلفك ،تقتله صح ولا ، فهذا الرّجل يقرّر هذا الكلام، ينال من أنبياء الله، ينال من الصّحابة، يضلّل "عثمان"، ويجعله صاحب هوى ومحابيا، يكفّر "معاوية" وكلّ من شارك في (صفّين والجمل)، هذا مسكين ، العجيب أنّ هؤلاء الذين يغارون عليه لا يغارون على أصحاب محمد – صلّى الله عليه وسلّم –، وهذه تناقضات، إن كانت عندك غيرة فلتغر على أنبياء الله الذين سبّهم، ولتغر لأصحاب رسول الله الذين كفّرهم.

أيّهما بالله عليك أحقّ بأن يُغار عليه، بأن تَغار لَه، ليست إغارة، بأن تغار له ؟ أصحاب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أم أصحاب الفكر التكفيري الذي أضلّ أمّة من البشر، وكلّ التكفيريّن والخوارج المعاصرين كلّهم قد استقوا هذا الفكر من كتبه الذي كفّر به عامّة الأمّة، فانتبه وإيّاك والعاطفة، إيّاك والعاطفة، عليك بقال الله وقال رسوله، أحدهم قيل له: لو أنّ رجلا قال لك إنّ "موسى" عصبي المزاج، قال نعوذ بالله هذا كفر، قال: وإذا كان الذي قاله صاحب الضّلال، قال: لا لا لا ما عاذ الله لعلّه يقصد معنى آخر، – وعَينُ الرِّضَا عَن كُلِّ عَيبٍ كَلِيلةٌ– أليس كذلك.

ولذلك هذا ذكّرني بموقف، كنّا في بلد من بلاد المسلمين فجاءنا بعض دعاة "الخُميني" – الذين يدعون لمبايعة "الخُميني"– وهم من أهل ذلك البلد السنّي ليسوا من الرّافضة، هم من بلد سني، ولكنّهم قد بايعوه وزوّجهم ومتّعهم – وهذا هو بيت القصيد لعلّه–، المهم أخذ يُجادل ومعي جمع من طلبة العلم منهم شيخنا الشيخ "علي بن ناصر الفقيهي" وأخونا الشّيخ "عبد العزيز الصّاعدي" والدّكتور :عوض الشّهري" وغيرهم من إخواننا، المهم لّما أكثر الجدل هو يريد منّا أن نبايع إمامه الطّاغية الفقيه الذي له حقّ التّشريع من دون الله بزعمهم، نعم ولاية الفقيه، انظر لّما أكثروا الجدال وجّهت إليه هذا السّؤال، قلت له يا فلان: لو أنّني قلت لك إنّ من ضرورات مذهبنا أنّ لأئمّتنا درجة لا يبلغها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، قال: نعوذ بالله أنت كافر لو قلت هذا، قلت ولو قاله "الخُميني"، قال: لا لا لا لأنّه يُجاهد في سبيل الله، والله تعالى يقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:69]، أرأيتم حبّك الشّيء يُعمي أو يُصم.

فهؤلاء الذين يُنافحون عن كُتب (الظّلال) المليئة بالضّلال مساكين ما عندهم فرقان، عندهم عاطفة. أنا أكرّر وأقول نحن لا نتكلّم في مصيره يا مساكين، ما نتكلّم في مصير الرّجل ولا في مآله

عند ربّه، رُبّما كان جاهلا فيُعذر بجهله ، لكن كُتبه لابدّ من طرحها والحمد لله قد صدرت الأوامر بإبعادها عن المدارس وعن المكتبات، فليتّق الله أصحاب المدارس والمعاهد والجامعات وليسحبوها من تلك المكتبات تنفيذا لتلك الأوامر؛ لأنّ من قرأها كفّر المسلمين. أحد الذين تأثّروا بهذه الكتب وقف في بلد ما وقال: لقد انتهى الإسلام من الأرض و لم يبق مسلما إلاّ أنا وزوجتي ورجل يُذكر في الهند، أرأيتم كيف تضلّ تلك الكتب وتُبعد عن الجادّة.

فاتّقوا الله واختاروا لأولادكم وأبنائكم ما يقرؤون، واعرفوا مع من يمشون، ومع من يسرحون، هل يسرحون مع أصحاب الشّهوات الإباحيّين، أصحاب الفضائيّات الذين يدعون إلى الخنا والزّنا والإباحيّة، أم يمشون مع الخوارج المارقين الذين يُكفّرون المسلمين والذين أضلّتهم كتب (الظّلال) وغيرها، فاتّقوا الله عباد الله،﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:281]

وفّقني الله وإيّاكم للعلم النّافع والعمل الصّالح، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه.

تفريغ: أم مريم البتول

11 شعبان 1430هـ